الخطب المنبرية

خطبة بعنوان

رأس مالك

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله

رأسّ مالك = ذرِّيتُك

الْحَمْدُ لِلَّهِ رب البرية، أحمده سبحانه وهب لنا الذرية، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ متفردٌ بالعطايا والنّعم والعبودية، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سيِّد البريّة، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَليه وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وتَقْوَى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أما بعدُ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ.

عبادَ الله: إنّ رأسَ مالِ المرء ما يحسنه، وإن أحسن ما يُتقِنه بعد العلم والعمل الإيماني -وهو منه- أن يحسن رعاية رأس ماله، وأُسُّ ذلك أن تختار له غرسَ أرضِه، وصفاءَ مائِه، وأن تهتم بنشئه؛ حتى تجني ثماره أحوج ما تكون إليه.

وإن رأسّ مالك ذرِّيتُك؛ فاختر لهم أمّا ذات دينٍ، وَاسقِهم بالأدب، واجعل طعامهم حسن الخلق، وكن قدوة لهم تجني ثمارهم في دنياك وأخراك، أقلل معهم التوجيه الكلامي، وأظهر لهم التوجيه العملي، كن إمامًا لهم بحسن الفعال، ولا تكن خيبة لهم بكثرة الأقوال.

رأسُ مالِك: أحسن اختيار اسمه، وأكثر من الدعاء لرسمه، واختر صحبته وأحسن ألفته، ربِّه على الفضائل، وأبعده عن الرذائل، قال ﷺ: (يا غلام، سمّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك) رواه مسلم.

رأس مالك: لاعبه سبعا، وأدبه سبعا، وصاحبه سبعا، أكرِمه، وشجِّعه، اهتم بروحه ونفسه أكثر من اهتمامك ببدنه، أظهر له حبك، بين له اهتمامك، لا تهمله فيَتْلَف ويُعصَر، ولا تشدد عليه فيَعْطَب ويُكسر، بين له الواجبات الدينية والدنيوية وعنفه عليها، وبين له الفضائل ورغبه فيها، وحذِّره الرذائل وأبعده عنها.

وَأَوَّلُ وَاجِبٍ لتقوية رأس مالك: أن تَغْرِسَ فيه العقيدة الصحيحة، وتحذره من كل قبيحة، وعلى رأس القبائح الشرك، واقتدي بلقمان حين قال لابنه في وعظه ومع حسن البيان: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان:١٣]، وفي حديث ابن عباسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يا غلام إني

أعلمك كلماتٍ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...) الحديثُ رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

شَجِّع في غرسك الفطرة السليمة؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ...» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

عِبَادَ اللهِ: رأسُ مالك يصبح ذا قيمة إن عاهدته بالصلاة: قَالَ - جَلَّ وَعَلَا-: [وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا] [طه:١٣٢] وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ ، وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَحَسَّنَهُ النَّوَوِيُّ].

رأسُ مالِك استخدم معه الترغيب والترهيب، قَالَ اللهُ تَعَالَى: [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] [التحريم:٦] قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (عَلِّمُوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ)، **رأسُ مالِك** علِّمه حرفة حتى لا يكون عالةً، وعلِّمه صنعة حتى لا يكون بطالا، ولا تكن أنت على المعلِّمين عالةً، وكن لهم عونًا وسندًا بالفعال والمقالة.

رَبِّ ذكور غرسك على القوة والجلد والتحمل حتى يكونوا رجالا لا تزعزهم العواصف، ورب إناث غرسك على الحياء والحنان والعطف حتى يكونوا أمهاتٍ صالحات قانتات، أحسن ألفتهم، وراعِ جمعتهم، واجلس معهم أكثر من أصدقائك، وقدمهم في الحقوق على من سواهم، حتى يكونوا بعدك متآلفين، وبالحقوق قائمين.

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ، فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ- حَقَّ التَّقْوَى، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ، ومن عظيم تقواه حسن رعاية الغرس، وخوف الله فيهم، ومراقبة الله فيهم، والقيام بالواجب معهم؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا] « ...مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إن مما يؤثِّر على رأس المالِ، ويفسد الأجيالِ، أن يروا منك الذنوب والمعاصي والكذب؛ فعن عبد الله بن عامر ﷺ قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا؛ فقالت: ها تعال أعطيكَ؟ فقال لها رسولُ الله ﷺ: (وما أردتِ أن تعطيه؟) قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها رسول الله ﷺ: (أما إنك لو لم تعطيه شيئًا لكتبت عليك كذبة) رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني.

ولنحذر في الغرسِ من الفرق في النسل؛ فإن عواقبه وخيم، ومآلاته سقيمٌ؛ ففي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: أعطاني أبي عطية؛ فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطيةً؛ فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) قال: فرجع فرد عطيته، متفق عليه.

داوِم على رقيتهم لا سيما بالمعوذتين، حتى يحفظ الله لك رأس مالك؛ قال ابن عباس ﷺ كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامة) رواه البخاري.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْوَالِدَانِ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَسْتَمِرُّ ثَوَابُهَا كَاسْتِمْرَارِ الصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ رعاية الأولاد الذين هم غرس مالك؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ

صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]. وَمِمَّا تُرْفَعُ بِهِ مَنَازِلُ الصَّالِحِينَ وَدَرَجَاتُ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اسْتِغْفَارُ أَوْلَادِهِمُ الصَّالِحِينَ لَهُمْ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

وَمِنْ تَمَامِ النَّعِيمِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: أَنَّ اللهَ يُلْحِقُ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِيمَانٍ، فَيُلْحِقُهُمُ اللهُ بِمَنَازِلِ آبَائِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوهَا؛ جَزَاءً لِآبَائِهِمْ، وَزِيَادَةً فِي ثَوَابِهِمْ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] [الطور:٢١].

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى، اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَسَدِّدْنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا وَوَالِدِينَا بِالْحَسَنَاتِ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ. اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْيَهُودِ الْغَاصِبِينَ، وَانْتَقِمْ مِنَ الصَّهَايِنَةِ الْمُجْرِمِينَ، وَرُدَّ الْأَقْصَى الْجَرِيحَ إِلَى حَوْزَةِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ كُنْ لِأَهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ نَاصِرًا وَمُعِينًا، احْقِنْ دِمَاءَهُمْ وَاحْفَظْ أَعْرَاضَهُمْ، وَأَيِّدْهُمْ بِتَأْيِيدٍ مِنْ عِنْدِكَ، وَرُدَّ كَيْدَ أَعْدَائِهِمْ فِي نُحُورِهِمْ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ أَمِيرَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالتَّقْوَى، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، وَانْفَعْ بِهِمُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءً رَخَاءً، دَارَ عَدْلٍ وَإِيمَانٍ، وَأَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.